حوار مع نعوم تشومسكي

لديموقراطيّة على الطريقة الأمريكيّة!

عندما ذهب «مايكل ألبرت» إلى بولندا عام ١٩٨٠ اكتشف أنَّ البولنديّين كانوا يظنّون أنَّ ثمّة تشومسكيّيْن اثنيْن. وقال ألبرت: «تشومسكي في اللسانيّات هو بمثابة سيغموند فرويد في علم النفس التحليلي». وألبرت هو محرّر تشومسكي في مجلة Z وصديقٌ له منذ الستّينات حين كان ألبرت آنذاك طالباً في الفيزياء ومنظّماً لحركات احتجاج معادية للحرب في جامعة M.I.T في ولاية ماساتشوستس. وأضاف ألبرت: «إنَّ جميع فروع اللسانيّات الحديثة تنبع من عمل تشومسكي. فضلاً عن أنَّ تحليله السياسي قد ألهم حركة السلام ما يزيد على ربع قرن. ولذلك فإنّه لم يكن في مقدور البولنديّين أن يظنّوا أنَّ بإمكان فردٍ واحدٍ فحسب أن يقومَ بكلّ هذه الأعمال!»

إنَّ القيام بمهنتيْن على نحو متواصل قد اقتضى التضحية من دون شكّ. ففي حلقة من حلقات البرنامج الأمريكي Saturday Night Live كان واحد من الممثّلين يحمل نسخة من **دليل تشومسكي** أثناء قيامه بمسرحيّة هزليّة قصيرة. فاتّصل ألبرت بـ «تشومسكي» ليقول له: «اسمعْ! إنّك على شاشة التلفزيون!»، لكنّه اكتشف أنَّ عليه أن يشرح لتشومسكي ما هو برنامج Saturday Night Live. إذن، تشومسكي لا يعرف شيئاً عن الثقافة الشعبيّة. إنّه لا يشاهد التلفزيون ولا يستمع إلى موسيقى الروك أند رول، وقد يذهب إلى السينما مرّةً واحدة في السنة، وليس له إلاّ وقت قصير يكرّسه لحياته الخاصّة.

غير أنَّ ما يعرفه «نعوم تشومسكي» حقّ المعرفة هو كيفيّة خلق الدماغ الإنساني للُّغة. تخيّلْ، للحظة، أنّك تقرأ الآن وتفهم جملة لم تقرأها أو تفهمها من قبل. وتخيّلْ أنّك تفعل هذا مئات المرّات في اليوم الواحد من أجل تبادل المعلومات التي تفوق في تعقيدها الجملة الأخيرة. كيف نُفسّر مثلَ هذا المستوى العالي من الذكاء والإبداع اللّذين يمتلكهما إنسان عاديٌّ امتلاكاً تامّاً؟ «إنَّ ثمّة جواباً واحداً على هذا السؤال»، يقول تشومسكي، ويتابع: «انَّ مثل ذلك المستوى مبنيّ في صميم الدماغ، ونُولَدُ معه. ولو جاء أحد سكّان المريخ الأذكياء إلى الأرض فسيكتشف ذلك، وسيرى أنَّ اللغات الإنسانيّة جميعها متشابهة. إنّ البراعة هي في أن تجد القوانين الأساسيّة للّغات جميعها ـ وهذا هدف هائل لكنّ المرءَ قادر على الوصول إليه!».

لقد أمضى تشومسكي أكثر حياته الأكاديمية باحثاً في الأمور التقنيّة (هل من راغب في معرفة نظرية التألّي المحدود؟)، جاهداً في العثور على تلك القوانين المسمّاة بالكليّات الثابتة. ويطرح نظرية مؤدّاها، بشكل تقريبي، أنّنا نولد وفي رأس كُلّ منّا علبةٌ من الأزرار أو المفاتيح. وتقرّر الحضارة التي يولد فيها الطفل الكيفيّة التي تكون عليها تلك الأزرار. ففي أحد الأنساق تكون الأزرار هنغاريّة، وفي نسق آخر تكون أورديّة.(*) وفي الحضارات جميعها، تبدأ الأزرار بالقرقعة حين يبلغ الطفل حوالي الثانية من عمره، ويشرع الطفل بتأليف جمل جديدة، تماماً مثلما يبدأ في سنّ الحادية عشرة بإنتاج خصائص جنسيّة ثانويّة. إنَّ وصفاً لعلبة الأزرار تلك سوف يُخبرنا الكثير عن كيفيّة عمل الدماغ ـ وهي كيفيّةٌ قد كانت أمراً غامضاً إلى حدٍّ بعيد قبل مجيء تشومسكي.

إنّ واحداً من الأمور التي تنتج عن عمل تشومبسكي هذا ـ وهو عمل لم يُبرهن بعد ـ هو أنّ لغة الإنسان وأكثر تصرُّفاته كذلك

* نسبة إلى الأوردو، لغة الباكستان الأدبيّة.

«ملائمةٌ ولكنَّها غير مُسَبَّبة». وهذا الاستنتاج يحتوي على مفهوم هرطقيّ في الشقّ السلوكيّ من علم النفس. وبكلمات أُخرى، فإنّنا نُولَدُ بطاقة هائلة على الإبداع يستحيل التنبُّؤ بها؛ نولد بـ «غريزة الحريّة». إنّ هذا المفهوم يضع تشومسكي على تخوم علم النفس والفلسفة واللسانيّات، وينسجم مع تراث حركة التنوير إبّان القرن الثامن عشر ـ تراث روسو والدكارتيّين والحرّيّين المتطرّفين[1].

وإذ يؤمن تشومسكي بأنّ الطريقة الفضلى لتحقيق حريّتنا القصوى التي نمتلكها بالوراثة إنّما تتمّ بالفوضويّة التي يطلق عليها اسم «الاشتراكيّة الحُرويّة»، فإنّه قد شنّ هجوماً لا هوادة فيه على الهرميّة الأمريكيّة وعلى الدولة القطريّة (Nation - State) بشكلٍ عام. وهذا ما جعله نبيّاً مُهاناً في أرضه. فالحال أنّ قلّة ضئيلة من الأمريكيّين العاديّين يعرفون تشومسكي، رغم كونه واحداً من أكثر المثقّفين المؤثّرين الذين يحظون بالاحترام على امتداد العالم أجمع باستثناء الولايات المتحدة الأمريكيّة. ولقلّما روجع كتابٌ من كُتبه في وسائل الإعلام الكبرى أو المجلّات الأكاديميّة القياسيّة. ولا تظهر مقالاته إلّا في مجلّات يساريّة صغيرة كمجلّة Z. وتتجاهله محطّات التلفزيون الأمريكيّة وتُؤثِر عليه الأقزام الذين ترضى عنهم شركة «الجنرال الكتريك» فيظهرون على برامج الأحد الصباحيّة. ولو ذُكر تشومسكي على الإطلاق، فإنّه يُدمَغ عادة بلقب «اليهودي الذي يكره نفسه»، وذلك بفضل نقده الكاسح للكيفيّة التي تُعامل بها اسرائيل الشعبَ الفلسطيني. وقد وضع تشومسكي جريدة **النيويورك تايمز** في وضع يعرّضها للعطب الدائم. فكيف نفسّر أنّ واحداً من أذكى الناس في الأرض يعتقد أنّ هذه الجريدة (التي تحوز أكبر معدّل من المبيعات في أمريكا) ركامٌ عابقٌ بالأكاذيب المتعلّقة بجرائم الولايات المتحدة في الحروب؟ بل الأدهى أنّ تشومسكي يبرهن ذلك على نحو منتظم، وبحواشٍ مستفيضة. ولمّا كان تفسير مثل ذلك السؤال منعدماً، فإنّ الجريدة تتجاهل تشومسكي... هكذا وببساطة.

وُلِد نعوم تشومسكي في فيلادلفيا في السابع من كانون الأوّل عام ١٩٢٨. وكان أبوه ويليام، الأكاديمي العبراني، قد هاجر من قرية صغيرة في أوكرانيا تفادياً للخدمة العسكريّة. وكانت أمّه «إلسي» أكاديميّة عبرانيّة هي الأخرى، وتكتب كتباً للأطفال. وفي جميع الاعتبارات، فإنّ نعوم الطفل قد نضج قبل الأوان، وكانتْ لوالديه بصيرةٌ فذّة مكّنتهما من إلحاقه بمدرسة تقدميّة تجريبيّة. وفي العاشرة

(١) هم القائلون بحريّة الإرادة وعدم خضوعها لقانون الضرورة

في العاشرة من عمره كتبَ افتتاحيّات تُدافع عن الفوضويّين في الحرب الأهليّة الإسبانيّة، وهو اليوم يكتب كتباً في فترة زمنيّة يعجز أكثرنا عن قراءة ما كتبه فيها!

من عمره بدأ نعوم يكتب افتتاحيات تدافع عن الفوضويّين في الحرب الأهليّة الاسبانيّة! ولطالما استقلّ القطار، إبّان سنوات مراهقته، إلى نيويورك حيثُ أمضى بعض الوقت في كُشكٍ للصحف يمتلكه عمّه ـ وهو كشك كان يجتمع فيه بعضُ اليهود الراديكاليّين من أبناء الطبقة العاملة فيبحثون في أمور السياسة والأدب. وحصل على شهادة الدكتوراه في اللسانيّات من جامعة M.I.T وثوّر حقْلَه عدّة مرّات. ومع حلول بداية الستّينات كان تشومسكي قد صمّم لنفسه حياةً هانئة: بيتاً في الضاحية، وعائلة فتيّة أحبّها، وعملاً علمياً مُرضياً. ثمَّ التفَتَ إلى حرب ڤيتنام، وجهر برفضه لها رغم أنَّ هذا كان أمراً غير آمن آنذاك. ورفض دفع ضرائبه ـ وهو عملٌ احتجاجي استمرّ في القيام به حتّى منتصف السبعينات ـ وساعد على تشكيل هيئة Resist («قاوِمْ») التي حثّت الشبّان الأمريكيّين على عدم تأدية الخدمة العسكريّة. وحين خضع الدكتور «بنجامين سپوك» للمحاكمة بسبب قيامه بعمل مماثل، كان تشومسكي شريكاً (غير مُتّهم قانونياً) في المؤامرة.

وفي عام ١٩٦٧ تقاسم الزنزانة مع «نورمان مايلر» عقب تظاهرة جرت أمام البنتاغون. ويذكر «مايلر» في **جيوش الظلام** أنَّ تشومسكي كان يُعتبر في الـ M.I.T «إنساناً عبقريّاً رغم كونه لم يتجاوز إذّاك الثلاثين من عمره». وقد وصفه «مايلر» آنذاك بأنّه «رجلٌ نحيل، حادّ الملامح، ينمّ عن التقشُّف، وذو سيماء تدلّ على الاستقامة الأخلاقيّة الدمثة، لكنْ المطلقة». ولا يزال مثل هذا الوصف مناسباً حتّى اليوم.

ومع كون تشومسكي في الثالثة والستين، فإنّه لايزالُ يلتزم ببرنامج عمل قاس. ففي النهار يقوم بالتدريس والأبحاث. وفي عدّة أمسيات في الأسبوع، في الطوابق السفلى من الكنائس على امتداد الولايات المتحدة، يُحاضر عن شرور السياسة الخارجيّة التي تنتهجها بلاده. وفي ثقافة اليسار الحقيقي المعزولة ـ وهي ثقافة لا تشكّل في حدِّ ذاتها سوى جزء فحسب من الثقافة الأمريكيّة ـ ، فإنّ

محاضرةً لتشومسكي سوف تكهرب مَنْ ليسوا سوى هياكل عظميّة، وتترك فضلةً فيهم من الطاقة المعنويّة لشهور تالية!

إنّه ليكتبُ كتباً في فترة زمنيّة يعجز أكثرنا عن قراءة ما كتبه فيها! ولعلّ أفضل كتاب للقارئ المبتدئ أن يكون **دليل تشومسكي (The Chomsky Reader)** وهو مجموعةٌ من المقالات القارصة، والمرِحة في كثير من الأحيان. أما كتابه الأخير **عَوْق الديمقراطيّة**[1]، فهو نزعُ أحشاءٍ مذهلٌ لسياسة الولايات المتحدة حيال العالم الثالث...

والغريب في الأمر أنَّ تشومسكي لا يعتبر نفسه كاتباً، ويصرّ على أنّه «لا يزاول أيّ حرفة». ويقول إنّه لم يقرأ مقالته «مسؤولية المثقّفين» ذاتها، وهي مقالة نشرتها **The New York Review of Books** عام ١٩٦٧، ولم تعد هذه الجريدة تلمس تشومسكي اليوم! والمقالة هذه كان قد دوّنها واحد من تلامذته أثناء حديث اعتيادي؛ ومع ذلك فإنّها ترسم تعريفاً لحركة السلام كأفضل ما تعرّفُ به الوثيقة الرسميّة. وقد دفعت هذه المقالة باسم تشومسكي إلى مصاف «ثورو» و«إيمرسون»[2] في نطاق أدب التمرّد. ما هي مسؤولية المثقّفين؟ يجيب تشومسكي: «أن يقولوا الصدق وأن يفضحوا الأكاذيب».

* لنبدأ بكتابك الأخير **عَوْق الديموقراطيّة**. ماذا تعني بـ «الديموقراطيّة»، وماذا يعني حكّامنا بـ«الديموقراطيّة»، ولماذا يعوقون ما تعنيه أنت بـ «الديموقراطيّة»؟

- لِـ «الديموقراطيّة»، شأنها شأن معظم مصطلحات الخطاب السياسي، معنيان مختلفان. هناك المعنى القاموسي، وهناك المعنى الذي يُستخدم لأهداف تتعلّق بالسيطرة والمنفعة. حسب القاموس تستطيع أن تقول إنَّ نظاماً ما هو نظام ديموقراطي بقدر ما يمتلك المواطنون سبلاً حقيقيّة للمشاركة في قرارات تتعلّق بالأمور العامّة. وفي هذه الحال فإنّ «الديموقراطيّة» ليست أمراً يُجابُ عليه بـ «نعم» أو «لا»؛ بل إنَّ ثمّة أبعاداً كثيرة مختلفة في المجتمعات المختلفة. وأمّا بالمعنى الايديولوجي لـ «الديموقراطيّة» - فالمعنى الأورويلي[1] هو المعنى الذي تُستعمل به الكلمة استعمالاً فعليّاً - فإنّ مجتمعاً ما لا يكون ديموقراطيّاً إلاّ حين تقوده فئاتٌ من رجال أعمال يخضعون لفئات من رجال أعمال آخرين يقودون الولايات المتحدة.

فمثلاً، كانت «غواتيمالا» في بداية الخمسينات «ديموقراطيّة» رأسماليّة بالمعنى القاموسي للكلمة. والواقع أنّها كانت من أكثر الأنظمة ديموقراطيّة في العالم الثالث قاطبة. فقد كانت تحظى بدعم شعبي كبير، وهذا أمرٌ لا شكّ فيه. يكفي أن تقرأ تحاليل وكالة المخابرات المركزية CIA؛ فقد كان من الأمور التي تقلق الأمريكيّين أنّ الحكومة الغواتيماليّة ذات دعم شعبي هائل. غير أنَّ غواتيمالا كانت تنتهج سياسات لا ترضى عنها الولايات المتحدة: مثل سياسة القوميّة المستقلّة، والتنمية المحليّة، والإصلاح الزراعي، وغير ذلك. لقد كانت مثل تلك السياسات تؤذي الأشخاص الذين عدّتهم الولايات المتحدة حلفاءها الطبيعيّين: أي رجال الأعمال المرتبطين بالشركات الأمريكيّة، والعسكر الذين يأخذون أوامرهم من الولايات المتحدة. فكان على الولايات المتحدة أن تُسقط الحكومة في غواتيمالا عام ١٩٥٤ لكي تحمي ما نُسميّه - نحن الأمريكيّين - بـ «الديموقراطيّة».

أو خُذ مثالاً أحدث: نيكاراغوا في الثمانينات. لقد حدثت انتخابات هناك عام ١٩٨٤. غير أنَّ تلك الانتخابات لم تكن وفق ايديولوجيا الولايات المتحدة؛ فحسب الجرائد والمجلات الأمريكيّة، لم تحدث أيّ انتخابات آنذاك، بل إنَّ الانتخابات لم تحدث إلاّ في عام ١٩٩٠. وأمّا الحقيقة التاريخيّة فتبيّن أنَّ انتخابات حرّة قد جرت بالفعل عام ١٩٨٤، وربّما لم توازها أيّ انتخابات أخرى في التاريخ من حيث خضوعها للمراقبة الدقيقة. فقد أجرت جمعيّة الدراسات الأمريكيّة اللاتينيّة - وهي الجمعيّة المحترفة التي تضمّ الأكاديميّين الأمريكيّين اللاتينيّين - أوّل تحليل مفصّل تقوم به لأيّ انتخابات أمريكيّة لاتينيّة. وأرسلت الحكومة الدائمركيّة، وهي حكومة شديدة الرجعيّة وموالية للأمريكان، وفداً إلى نيكارغوا؛ وكذلك الأمر بالنسبة للبرلمان الإيرلندي. وتدفّق المراقبون. وكان الاستنتاج العام الذي

---

(١) صدر تعريباً له العام الماضي عن مركز دراسات الوحدة العربيّة (بيروت) ومؤسّسة عيبال (دمشق). والجدير ذكره أنَّ تشومسكي أصدر بعد هذه المقابلة كتاباً آخر هو **العام الأوّل بعد الخمسمئة: الغزو يستمرّ**.

(٢) هنري دايفيد ثورو (١٨١٧ - ١٨٦٢) مؤلّف أمريكي وصديق لايمرسون. وقد اعتُبر كتابه الحياة في الغابات (١٨٥٤) من التحف الأدبيّة، ويصف تجربته خلال سنتين في الغابات. واشتهر كذلك بمقالته «العصيان المدني» (١٨٤٩) التي يُدافع فيها عن حقّ الفرد في رفض دفع الضرائب حين يملي عليه الضمير ذلك، ويشرح تقنيّة المقاومة السلبيّة التي تبنّاها غاندي لاحقاً.

أمّا «رالف والدو إيمرسون» (١٨٠٣ - ١٨٨٢) فشاعر وفيلسوف أمريكي كان ذا أثر بيّنٍ في الحياة الأمريكيّة من خلال تقديسه للطبيعة وللصوفيّة. وقد حثّ عام ١٨٣٧ في خطاب قرأه لتلاميذ جامعة هارفرد على استقلال أمريكا الثقافي.

(١) نسبة إلى جورج أورويل (١٩٠٣ - ١٩٥٠) الذي كان يكره التوتاليتاريّة. أشهر أعماله مزرعة الحيوان (١٩٤٥) و١٩٨٤ (١٩٤٩)

طلع بـه حتّى أكثر المـوفدين رجعيّـة هو أنّ الانتخابـات قـد كـانت حقيقيّة.

* اذكر أنّني قرأت في مجلّة Z من يقول إنّ نيكارغوا كانت تمتلك قدراً من الديموقراطيّة يفوق ذاك الـذي تشهده الـولايات المتحـدة في أكثر انتخاباتها الرئاسيّة.

ـ إنّ ما تقولـه، بالمعنى القـاموسي، أمـر قابـل للنقاش. فبـالمعنى الاصـطلاحي الـرسمي ـ المتعلّق بمـا إذا كـانت آلات الانتخـاب تعمـل، وغير ذلـك من الأمـور ـ لا يمكن مقـارنتهـا بـالانتخابـات الأمـريكيّة. إنّ نيكاراغوا بلد ينتمي إلى العـالم الثالث. غـير أنّه من الشائع في العالم الثالث أن تكون ثمّة خيارات انتخابيّة أكثر من تلك الموجـودة في الـولايـات المتحـدة. وذلـك لأنّنـا في أمـريكـا نمتلك ديمـوقـراطيّـة بـالمعنى الأوروبـي: إنّ الـدولـة لا تتـدخّـل وتـوقف المرشحين، غير أنّ الخيار ضيّق؛ وهذا ما نُسَمّيه «ديموقراطيّة فعّالة»!

وأيّاً يكن الأمر، فـإنّ انتخابـات ١٩٨٤ لم تجرِ لأنّها لم تتـلاءم مع الشرط الذي وضعته الولايات المتحدة، وهو أن تقرّر نتيجتها سلفاً. بل إنّ الولايـات المتحدة حـاولتْ أن تعطّل الانتخـابات مستخـدمة جميـع الوسـائل الممكنـة. فـ«الكونـترا» التي لم تكن إلّا قوّة إرهـابيّة تسيّرها الولايات المتحدة، جهدت لتعطيل الانتخـابات ونجحت في ذلك. لقد هـاجم عناصر «الكـونترا» مـراكز الاقـتراع، وقامـوا بغير ذلـك من الأمور التخـريبيّة. وكـان ثمّة مـرشّح ينـطق باسم الإدارة الأمريكيّة، هو صاحب بنك قضى أكثر حياته في الولايات المتحـدة، وقد اعتبرته الصحافة الأمريكيّة مرشّحاً شعبيّاً. غير أنّه لم يكن هناك أيّ دليـل على مثـل هذا الـزعم. وعندمـا اتّضح أنّـه لن ينجـح في الانتخابات، حُثّ على الانسحاب. وتبيّن لاحقاً أنّـه كان يتقـاضى مرتباً ثابتاً من وكالة المخابرات المركزيّة الأمريكيّـة (CIA). ثمّ ترى الصحـافة الأمـريكيّة تـدّعي «أنّه لم تجـر أيّ انتخابـات وأنّ المرشّـح الأساسي قد انسحب!». لقـد رُمِيَتْ الانتخابـات بالـتزوير، وذلـك لكي يُبَـرَّرَ الهجومُ عـلى نيكـاراغـوا. لم يـزعجنـا «سـومـوزا»، لكنّ الانتخابات هي التي أزعجتنا!

حين حصلت الانتخابات التاليـة عام ١٩٩٠، كـانت البلاد قـد دُفعت آنذاك إلى البؤس الشامـل. فقد تمّ تـدميرهـا تدميـراً حقيقيّاً بفضل اعتداءات «الكونترا» والحرب الاقتصاديّة التي ربّما كانت أشدّ فتكـاً. وعنـدمـا أعلنت نيكـارغـوا عن الانتخـابـات، أذاع البيت الأبيض بـوضوح أنّ انتخـاب مـرشّـحٍ أمـريكي سـوف يعني نهايـة للخنق الاقتصادي.

في هـذه الأثنـاء استمـرّت الـولايـات المتحـدة في الحفـاظ عـلى «الكونترا»، خارقةً بذلك اتّفاق رؤساء أمريكا الوسطى القاضي بحلّ القـوات الإرهابيّـة المموّلـة من قبل الأمـريكـان. وأُطلق عـلى ذلـك الحفاظ «المساعـدة الإنسانيّـة»، مع أنّ المحكمـة الدوليـة كانت قـد حكمت بأنّها مساعدةٌ عسكرية واضحة. لكنّ هـذا القرار كـان قرار المحكمة الدوليّة فحسب! وهنا أيضاً يحضر السؤال الأوروبي المتعلّق بمـا هو قـانـوني ومـا هـو غـير قـانـوني. وكـان ردّنـا [أي ردّ الإدارة الأمريكية] واضحاً: سوف تستمرّ «الكونترا» في اعتداءاتها الإرهابيّـة مـا دام الشعب لم يصـوّت كـما يحلو لنـا. وفي ظـلّ الاعتـداءات الإرهابيّة والخنق الاقتصادي جرت انتخابات، فتمّ التصويت على ما يحلو لجـورج بوش، وسُمّي ذلـك التصويت «انتخابـاً». لقـد كـان البيت الأبيض واضحـاً: إذا صـوّتم كـما يحلو لنـا، عشتم. أمّـا إذا صوّتم عكس إرادتنا فإنّ اثيوبيا [حيث المجاعـة] سوف تبـدو أفضل حالاً منكـم! وهكذا سُمّيت هذه الانتخابات بالحرّة. وأمّا تلك التي لم تستطع الولايـات المتحدة أن تتحكّم فيهـا، فإنّها لم تكن كـذلك! وبالمناسبة، فقد كان هناك شيء يشبه الإجماع على مثل هـذه التفرقـة في الصحافة الأمريكيّة.

* الجميع، من «مايكل كينسلي» إلى «بـاتريـك بيوكـانن»، يساراً ويميناً.

ـ حتّى «أنطوني لويس». الجميع كانوا منتشين بـالنتيجة التي آلت إليها هذه الانتخابات «الـديموقـراطيّة». وكـانت جريـدة **النيويـورك تايمز** مضحكة بشكل خاص؛ فقد كتبت في أحد عناوينهـا العريضـة «الأمريكيُّون متّحدون في الفرح» ـ وهـو عنوان عـريض تَجِدُهُ في بلد غريب عجيب توتاليتاريّ مثـل ألبانيـا. وقال عنـوان عريض آخـر. «الولايات المتحدة انتصرت. لعبة عادلة»، وهذا يعني انتخبـوا عـلى طريقتنا، أو موتوا.

إذن عليك أن تختار. أيّ لغة سوف تتكلّم: الإنكليزيّة، أو لغـة «أورويل»؟ بل إنّ أورويل نفسه لم يحز خيالاً واسعاً يتيح لـه التفكير بمثل هذه الأمور.

* الحقّ أنّ روايـة ١٩٨٤ لأورويل تحكي عن الـولايات المتحـدة وإنكلترا كما تحكي عن روسيا الستالينيّة سواءً بسواء.

ـ قد يكون هذا ما عنـاه بالفعـل. غير أنّ السبب الأوحـد الذي صـار من أجله محبوبـاً هو أنّ المـرء في استـطاعتـه أن يؤول كُـلًّا من ١٩٨٤ ومزرعة الحيوان بأنّهما يحكيان عن الاتحاد السـوفياتي وحـده. وهذا ما جعل أورويل مقبولاً.

* هل تشعر بالغثيان حين تسمع منظّراً ايديولوجيّاً يمينيّاً متطرّفاً مثل نورمان پودهورتز يصنّف نفسه ضمن التراث الأوروبلي من حيث وقوفه في وجه القوّة واختراقه حجب الدعاية الزائفة.

بعضُ «المثقّفين» لا تجتاحهم العاطفة الإنسانيّة إلاّ حين يتعلّق الأمر بجرائم الآخرين!

ـ إذا أخذنا الجزء الأورويلي الذي يتحدّث عنه پودهورتز، فإنّه ليس كليّ البعد عن الحقيقة. إنّ پودهورتز مهتمّ بالكتابات الأورويليّة التي تدين العدوّ الرسمي. غير أنّ في استطاعة المرء أن يقول كذلك إنّ پودهورتز ينتمي إلى تراث كلّ كوميسير شيوعي[1]. إنّ أيّ كوميسير شيوعي يدين جرائم الولايات المتحدة بلا شكّ. والحق أنّ باستطاعتك أن تقرأ **البراڤدا** فتنهمر الدموع على خدّيك حزناً على المعاملة الرهيبة التي يلاقيها السود في الجنوب الأمريكي، على الجرائم الأمريكيّة في الهند الصينيّة. إنّ الكوميسيرين لا تتملّكهم العاطفة إلاّ حين يتعلّق الأمر بجرائم الولايات المتحدة. ومثلهم في ذلك نورمان پودهورتز الذي لا تجتاحه العاطفة إلاّ حين يتعلّق الأمر بجرائم الآخرين.

غير أنّ الناس الشرفاء، في الاتحاد السوفياتي أو هنا، سوف يكترثون للجرائم التي ترتكبها الدولة التي ينتمون إليها ـ تلك الدولة التي يتحمّلون جزءاً من المسؤوليّة عن قيامها. وإنّنا نقدّر هذا حين نتحدّث عن الروس؛ ولا نكرّم مأجوري الحزب الشيوعي الروسي حين يدينون الجرائم الأمريكيّة. إلاّ أنّنا لا نطبّق هذا المنطق عينه هنا في أمريكا. فَمثلَ هذا التطبيق غير معقول، لأنّه عقلاني وشريف، وحين تكون عقلانيّاً وشريفاً فإنّك تُستبعد في العادة من الدوائر المتعلّمة، من الطبقات المحظيّة. إنّ هذا لهو أمر خطير جدّاً.

* حين تقرأ كتّاب الأعمدة المحافظين يتّضح لك أنّ موقفهم ثابت في نسبة كلّ ما هو خير إلى القوّة (السلطة)، ونسبة كلّ ما هو شرّ إلى الفقير أو إلى كبشِ محرقةٍ آخر.

(١) الكوميسير أو المفوّض الشيوعي: مسؤول في الحزب الشيوعي يُعهد إليه ببثّ المبادئ الحزبيّة في وحدة من الوحدات العسكريّة والتأكّد من صدق ولاء أفرادها للحزب.

ـ هذا صحيح. إنّ موقفهم ثابت بالفعل. وهذا مماثل تماماً لما تجده في **البراڤدا** أيّام ستالين. غير أنّ باستطاعة المرء أن يفهم لماذا يتوجّب على سوفياتي آنذاك أن يكون مأجوراً للحزب أو يخرس؛ فقد كان الكلام شديد الخطورة. حاولْ أن تكونَ إنساناً شريفاً، فإنّك سوف تنتهي في الغولاج (مراكز التعذيب). لكنْ حاوِلْ أن تكون إنساناً شريفاً في الولايات المتحدة، فإنّ ما سوف يحدث لك لن يكون أمراً ذا بال.

* هنا، في أمريكا، يُفقرونك إن كنتَ شريفاً!

ـ وباستطاعتهم أن يشوّهوا سمعتك. ثمّة غرامة ينبغي على الشريف أن يدفعها. غير أنّ مثل هذه الغرامة لا يمكن مقارنتها بالتعذيب أو القتل. هنا، في أمريكا، الوضع أسهل بكثير. وهذا يعني أنّ الناس، ولا سيّما أولئك المحظيّون، الذين لا يكونون شرفاء هم ذوو مستوى أخلاقي/معنوي أخفض بكثير من أسوأ الكوميسيرين إبّان حكم ستالين!

* كيف تفسّر أنّ القتل والتعذيب أقلّ هنا؟ إنّك لو نظرت إلى أمريكا الوسطى لوجدت أنّ قادتنا قادرون على ذيْنِك الأمرين بشكل واضح. إنّ تأويلي لأحداث الستّينات ـ كتلك التي جرت في ولاية «كنت»، واغتيال «فرِد هامپتون» التابع لمنظمة «الفهود السود»، وتلفيق تهم بحقّ «جيرونيمو پرات» ـ يقول إنّها كانت تهدف إلى تحذير الناس بأنّ عصابات القتل قادرة على العمل هَهنا، في أمريكا، أيضاً.

ـ عليك أن تفهم طبيعة المجتمع الأمريكي. لقد حصلت اغتيالات بحقّ «الفهود السود»، وأسوأ الحالات التي أعرفها اغتيال «فرد هامپتون». إنّ اختياره بالذات لهو أمرٌ لافت للنظر. لقد كانت «الفهود السود»، شأنها شأن كثير من المنظّمات التي انبثقت من «الغيتوهات»[1]، منظمة مختَلَطة: احتوت لصوصاً عاديّين، كما احتوت منظِّمين جدّيّين اعتُبروا خطراً حقيقيّاً. وكان «فرد هامپتون» منظِّماً فعّالاً في «غيتو» شيكاغو؛ وكان واحداً من الأهداف الأساسيّة لإرهاب الـ FBI (رجال البوليس الفدرالي)، الذين اغتالوه بالتعاون مع «دائرة بوليس شيكاغو» بعد خطّة أعدّها الـ FBI. ولكنّك سوف تلاحظ أنّ أحداً لم يهتمّ بذلك.

فمثلاً، لم يتحدّث أحد عن هذا الأمر في التحقيقات المتعلّقة بفضيحة «ووترغيت». لم يقل أحد [للرئيس] ريتشارد نيكسون:

(١) أحياء الأقلّيات، سوداً أو يهوداً أو غير ذلك.

«لحظة واحدة من فضلك، لقد دبّرت اغتيالاً على طريقة الغستابو[1] لواحد من منظّمي الغيتو». إنّ جُلّ ما قالوه في تحقيقات «ووترغيت» هو التالي: «لقد شتمتَ رجلاً قويّاً. إنّ الدستور يتهاوى»!

وهكذا تمّ اغتيال «فرد هامپتون». إلاّ أنّ الناس البيض ذوي الحظوة لم يتعرّضوا للاغتيال، بمن فيهم أولئك الذين كانوا يجهرون بمعارضتهم جهراً شديداً. وهذا ما يعكس طبيعة المجتمع الأمريكي: إنّه ليس مجتمعاً توتاليتاريّاً (شموليّاً)، بل إنّه مجتمع حرّ جدّاً يتهيّأ لدخول الطور الأخير من الرأسماليّة؛ إنّه ليس مجتمعاً رأسماليّاً صافياً، بالطبع، فمثل هذا المجتمع لا يستطيع البقاء أسبوعاً واحداً.

* هل تعتقد أنّ اليسار إذا ما حزم أمره في التسعينات فإنّنا سوف نجد نشاطات حكوميّة شبيهة بتلك التي تحدّثنا عنها للتوّ؟

ـ لا أعتقد ذلك.

* لن نجد شيئاً شبيهاً بـ «كوينتلپرو»؟

الحرّيّة في الولايات المتحدة سلعة تحصل على أكبر قدرٍ منها بقدرِ ما تدفع!

ـ كانت «كوينتلپرو» تمييزيّة. فحين تُوجّه نحو السود تكون قتلاً؛ وحين تُوجّه نحو البيض تصير تعطيلاً لأعمالهم، وتشهيراً بهم، وتلفيقاً لأخبار تتعلّق بتصرُّفاتهم الجنسيّة، وأشياء من هذا القبيل. ثمّة فرق كبير بين المعاملتيْن، يتوقّف على ما إذا كان المرء ذا وضعٍ مميّز أو لا. وفي مجتمعنا الأمريكي، يكون الناس ذوو السلطة والثروة أحراراً نسبيّاً. فالحريّة سلعة، شأنها شأن كلّ شيء آخر في مجتمع رأسمالي: تحصل على أكبر قدر منها بقدرِ ما تدفع! وإن كنت غنيّاً ولون جلدك هو اللون «الصحيح» فإنّك تستطيع أن تشتري الكثير. إنّ النّاس ذوي الامتيازات الذين يديرون هذه البلاد في واقع الحال لا يريدون للدولة أن تكون قويّة لئلاّ تلاحق أمثالهم. ولذلك فإنّهم سوف يحمون الحقوق المدنيّة لمن يكرههم شرط أن يكون هؤلاء من الطبقة «الصحيحة».

* هل سبق أن تساءلت عن نفسيّة هؤلاء الكوميسيرين الأميركان؟ لقد كتبتَ عن عمليّة «التصفية» (Filtering) التي يترقّى بموجبها المطيع وينتهي العاصي في مكانٍ آخر. غير أنّي أتساءل عمّا يجول في أذهانهم؟

ـ لا أعتقد أنّه من الصعب جدّاً أن نتصوّر الجواب. إنّ جميع الناس الّذين التقيتُ بهم ـ بمن فيهم أنا بالذات ـ قد قاموا بأشياء سيِّئة في حياتهم، أشياء يعلمون أنّه كان ينبغي عليهم ألاّ يقوموا بها. ثمّة أناس قليلون يقولون «حقّاً لقد قمنا بعمل رديء». إنّ ما يفعله الناس في العادة هو أن يلفّقوا طريقةً تشرح لماذا كان ما قاموا به هو الصحيح. هذه هي ـ بشكل أساسي ـ الطريقة التي تعمل بها التشكّلات المعتقديّة: تكون لديك مصلحة ما، شيءٌ ترغب به، وعلى أساس تلك المصلحة أو هذا الشيء المرغوب تبني نظاماً معتقديّاً يجعل من نظرتك هذه أمراً صائباً وعادلاً. ومن ثمّ تؤمن بهذا النظام المعتقدي. إنّ هذا عيب إنساني شائع.

هناك أناس يمارسون تلك النظرة بطريقة تفوق الآخرين. وإنّ أشطر من يمارسها يصيرون كوميسيرين. فالحال أنّ «أفضل» مخطّط هو أن يكون ثمّة كتّاب مقالات يؤمنون بما يقولون؛ ذلك أنّ السّاخرين الكَلْبيّين يميلون إلى إغفال بعضِ المفاتيح (Clues) لأنّهم يحاولون على الدوام أن يحتالوا على كذبهم. إذن فإنّ أولئك القادرين على تصديق كلّ ما يدعم السلطة والامتيازات ـ شرط أن يتمّ ذلك التصديق على نحوٍ استقلالي في رأيهم ـ هم «الأفضل» [من وجهة نظر السلطة طبعاً].

إنّ القاعدة هي أنّك إذا أخضعت ذاتك لمصالح الأقوياء ـ سواء أكان هؤلاء آباء أم أساتذة أم أيّ أناس آخرين ـ وإذا فعلت ذلك طوعاً وبطريقة مهذّبة، فسوف ترتقي. لنفترضْ أنّك تلميذ في مدرسة، وأنّ الأستاذ يقول شيئاً عن التاريخ الأمريكي يكون من السخف بحيث أنّك تشعر بالضحك. وأتذكّر هذه الحكمة منذ الطفولة؛ فلو نهضتَ وقلت: «إنّ هذا أمر تافه حقّاً» فإن أحداً لن يصدِّقك، لأنّ الحقائق مقلوبة وسوف تقع في المتاعب.

* هل تذكر ما حدث لك؟

ـ لقد حصل هذا مراراً كثيرة. طُردت من الصفوف. حسناً، لم أُطرد كثيراً... فثمّة أناس واجهوا الأساتذة بشكل ثابت فوُصموا بأنّهم يعانون من مشكلات سلوكيّة. فما إن تطرح أسئلة أكثر ممّا ينبغي، وتسأل عن الأسباب بدل أن تكتفي بتنفيذ الأوامر، حتّى يصنِّفوك في خانات معيّنة: كالقول إنّك «مفرط النشاط» (Hyperactive)، أو عديم النظام، أو مفرط الإحساس. ويجري

(١) البوليس السرّي النازي.

هذا طوال حياتك التعليميّة والمهنيّة. فالصحفي الذي يشرع بانتقاء الأمور التي لا يتوجَّب عليه انتقاؤها يُستدعى من طرف رئيس التحرير الذي يقول له: «إنّك تضيِّع موضوعيّتك. إنّك قد ورّطت أحاسيسك أكثر ممّا ينبغي في القصص التي تكتبها. لماذا لا تعمل في محكمة البوليس إلى أن تفهم المسألة فهماً صحيحاً؟».

إنّ هذا يحدث في الطفولة حقّاً. وإذا قبلتَ الأمر بهدوء وسايرته بغضّ النظر عن مشاعرك، فإنّ ما تقوله سوف يصبح مبدأ هادياً لك في نهاية المطاف، لأنّه من الصعب جدّاً أن تؤمن بأمر وتقول أمراً آخر. وأستطيع أن أرى ذلك بوضوح في خلفيّتي الأكاديميّة ذاتها: اذهبْ إلى أيّ جامعة نخبويّة فستجد أنّك تتحدَّث في العادة إلى أناس شديدي الانضباط، أناس قد اختيروا لشدّة طاعتهم. وهذا أمرٌ مفهوم؛ لأنّك لو قاومت إغراءَ أن تقول لأستاذك: «أنت إنسانٌ أحمق» ـ وهذا ما قد ينطبق عليه حقّاً ـ ولو امتنعت عن قول «هذه حماقة» حين يُعيِّنُ لك واجبٌ دراسي أخرق، فإنّك سوف تتجاوز تدريجيّاً «المصافي» المطلوبة. وهكذا تصبح في جامعة جيِّدة وتحصل في نهاية الأمر على وظيفة جيِّدة.

* بالنسبة لي فإنّ السؤال هو التالي: لماذا يكون ثمّة تلميذٌ أكثر مقاومةً للكذب من أجل الارتقاء؟ علينا أن نقرّ بأنّ هناك شيئاً اسمه الشجاعة الأخلاقيّة. بعض الناس يمتلكونها وبعضهم لا يمتلكونها.

ـ هناك اختلافات بين الأفراد لا نستطيع فهمها، تماماً مثلما لا نستطيع فهم السبب الذي من أجله يحبّ بعض الناس الرياضيّات بينما يحبّ آخرون موسيقى «الروك اند رول». إنّه لمن حسن حظّ الجنس البشري أنّ الناس مختلفون. فلو كنّا متشابهين، لما كانت الحياة جديرة بالعيش. ولعلّ كثيراً من الاختلافات أن تكون مقرّرة بالوراثة سلفاً. ومردّ بعض الاختلافات الأخرى إلى تأثير التدريب المبكر على ملكاتنا الوراثيّة. هناك الكثير من الأسباب، ولا أحد يعرف شيئاً عنها، ولذلك فإنّ بمقدروك أن تتنبّأ بها أو تحدس بأيّ أمر تشاؤه.

على أنّ هناك أموراً سوف نتعرَّف إليها إنْ كنّا صادقين. منها القدرة على تشكيل معتقدات تخدم المرء الذي يعتنقها، والإيمان ـ من ثمّ ـ بها. وإذا كانت تلك القدرة وذلك الإيمان من الخصائص الأساسيّة لبنيتك الثقافيّة، فإنّه من المحتمل أن تذهب بعيداً في ذلك الأمر.

خذ مثلاً ما كُتب عن مذكّرات «جايمس ريستون» في عدد **النيويورك تايمز بوك ريفيو** الصادر في ٢٠ تشرين الأوّل ١٩٩١.

يقول الكاتب إنّ «ريستون قد كان رجلاً يُعجب به الجميع، وأنّه كانت له وجهة نظر مستقلّة، وأنّه كره حرب ڤيتنام»، وهلمَّ جرًّا. وأمّا واقع الحال فهو أنّ «جيمس ريستون» قد ارتقى في مهنته بفضل تناوله طعام الغداء مع «دين آشيسون» وبفضل كتابته مقالة في اليوم التالي عمّا طلب منه «دين آشيسون» أن يكتبه. وما فعله ريستون سُمّي بـ «السَبَق الصحفي من الداخل». ما أعمق هذه التسمية! وأمّا القول بأنّه كره حرب ڤيتنام، فالواقع أنّه أحبّها؛ لقد كتب مقالات تتحدَّث عن دفاع الأمريكيّين عن مبادئ تقول بعدم جواز خضوع شعب لآخر، وبأنّ الخالق قد أضفى علينا قدر أن نحمل تلك المبادئ! نفايات مثيرة لأقصى أنواع الخجل! غير أن ذلك لا يهمّ. فأنا متأكّد أنّ الكاتب الذي امتدح ريستون يؤمن بكلّ ما كتبه عنه. ولو لم يؤمن بهذا لما كان مُراجِع كتاب ريستون.

* الكاتب هو «فرد بارنس» من **The New Republic**.

ـ لا أعرفه. لربّما اعتقدَ أنّه يحكي الحقيقة. وقد لا يكون اعتقد مثل هذا. وقد يكون هازلاً.

* ألم يسبق لك أن شاهدته على التلفزيون أيّام الآحاد؟

ـ لا، لا أعتقد أنّني قادر على تحمّل ذلك. ومن دون أن أعرفه أشتبه بأنّه يؤمن بما يقوله. ما أريد أن أقوله هو التالي: إنّ الأشخاص الوحيدين الذين ينجحون في الوصول إلى التعبير عن ذواتهم في ذلك المحيط «الجليل» هم الذين سبق لهم أن برهنوا عن خضوعهم للسلطة.

لكن يجب أن أخبرك أنّ ثمّة صحفيّين يعون ذلك وعياً جيِّداً ويسعون إلى العمل في إطار نظام القوّة والسلطة الذي يفهمونه فهماً جيِّداً. أنت تعرف مثل هؤلاء الأشخاص، وأنا كذلك. وإنّي أعتقد أنّ البحث فيما يمكن عمله من داخل المؤسّسات لهو عملٌ جديرٌ بالاحترام، رغم بنية تلك المؤسّسات الهرميّة والسلطويّة.

* أثناء الانتخابات، دائماً تقرأ أولئك الصحفيّين الفاجعين يكتبون عن الأهميّة القصوى للتصويت على المرشّحين المقترعين. غير أنّ أحداً منهم لا يسأل ـ لو سلّمنا أنّ التصويت لصالح «سنتور» ك فكرةٌ عظيمة إلى هذا الحدّ ـ لماذا لا يكون التصويت لربّ عملك فكرةً أعظم!

ـ لا، مثل هذا السؤال مستبعد لديهم. فجزء هامّ من الايديولوجيا السائدة يقول بالسماح للمرء بنقد الكونغرس والرئيس والسياسيّين المحليّين، وبالقول بأنّهم لصوص جميعاً؛ لكنّه ليس

مسموحٌ لك أن تنتقد الكونغرس والرئيس، لكنه ليس مسموحاً لك أن تقول إنّ نظام الشركات هو في صميم ذلك كلّه.

مسموحاً لك أن تقول إنَّ نظام الشركات هو في صميم ذلك كلّه. بل إنّه ليس مسموحاً لك أن ترى ذلك. لا، إنَّ فكرة عدم التصويت لربّ عملك مستبعدة.

غير أنّك لو آمنت حقّاً بعقيدة الحرّيّين إبّان القرن الثامن عشر، عقيدة «الآباء المؤسّسين»، فإنَّ ذلك السؤال هو بالضبط ما سوف تسأله. إنَّ أولئك «الآباء» لم يكونوا ضدّ دولة قويّة فحسب، بل كانوا كذلك معادين للمواضع التي تتركّز فيها القوّة. ولقد حدث في أيّامهم الغابرة أنَّ المواضع المركزيّة لتمركزات القوّة تلك قد كانت الدولة والنظام الإقطاعي والكنيسة، ولهذا كانت هذه جميعها هي ما وقفوا ضدّه.

غير أنّه مع حلول القرن التاسع عشر بدأت تظهر مواضع جديدة لتمركزات القوّة، مواضع لم يكن الآباء المؤسّسون قد أولوْها اهتماماً عظيماً، وهي تحديداً قوّة الشركات. لقد كانت هذه ذات قدرة على التأثير والسيطرة على حياتنا تفوق القدرة التي استطاع «الآباء المؤسّسون» أن يتنبّأوا بها. على أنَّ مبادئهم لا مندوحة من أن تدفعك لطرح السؤال التالي ذاته: لماذا ينبغي علينا أن نخضع لربّ العمل؟ ولماذا يتوجّب على قرارات الاستثمار أن تكون في يد أفراد؟ ولماذا يجب على القوّة الخاصّة (الفرديّة) أن تقرّر ما يمكن إنتاجه وما يمكن استهلاكه بالإضافة إلى شروط العمل؟ ولماذا ينبغي على المرء أن ينفّذ الأوامر؟ ولماذا لا يتوجّب على الجميع أن يشاركوا ديموقراطيّاً وأن يقرّروا ما يجب فعله؟

* كلّما تحدَّثت **النيويورك تايمز** أو أيّ جريدة أخرى عن دمار طبقة الأوزون[1] فإنّها يعرضان الحدث كما لو أنّه مأساة لا يمكن تفاديها: كما لو أنّه زلزال أو إعصار. غير أنَّ التأثير الكيماوي لكربونات الكلوروفلور في الأوزون قد أُثبت منذ عام ١٩٧٣. وأمَّا «دوپونت» وحكّامنا السياسيُّون فقد كانوا حجر عثرة دون التصديق على منع ذلك الدمار، وها نحن اليوم في وضع ينذر بموت مئات الآلاف من الناس من جرّاء سرطان الجلد أو بإصابتهم بالسُّد[1]. لو أنَّ تلك الكيماويّات قد صُنعت في أوروبا الشرقيّة لكنّا لُمنا الشيوعيّة من دون شك! لكن أن تكون الرأسمالية هي مَنْ فَعَلَ ذلك...

- إنّها قد فعلت ذلك في سياق عملها الطبيعي، لا بسبب أيّ فسادٍ ما. لقد فعلت ذلك لأنّ ما يدفع النظام إلى العمل وما يُفترض أن يدفعه إلى العمل إنَّما هو **الفائدة** التي ستُجنى في الغد. إنّ من يفكّر بالآثار البعيدة المدى لَهُوَ خارج النظام، وهذا جزء من طبيعة النظام ذاتها. وهذا يُفترض أن يكون أمراً جيِّداً! في الأدبيات الاقتصاديّة يُطلق على سرطان الرئة الذي سوف يأتي في المستقبل لقب «المظهر الخارجي» (externality)؛ ولا يظهر في نظام السوق. وحين تبيع الكيماويات فإنّه يُتوقَّعُ منك أن تزيد فائدة حاملي الأسهم إلى أقصى حدّ، وإنْ لم تفعل ذلك فإنَّ ما تقوم به عملٌ لاأخلاقيّ. إنَّك لن تزيد الفائدة إلى أقصى حدّ حين يتابك القلق بشأن إصابة الناس بالسرطان بعد عشرين سنة. ولو قلقت مثل ذلك القلق فإنَّك لن تكون رئيس الهيئة زمناً طويلاً؛ هكذا يعمل النظام، بل إنّه يسترعي الإعجاب بسبب هذه الخاصّيّة! اسألْ «ميلتون فريدمان»[2]. لو أنّ شركة «دوپونت» بدأت تَقلق بشأن طبقة الأوزون وحوّلت مواردها إلى حيث تستطيع مجابهة الأخطار، لكانت شركة أخرى قد طردت «دوپونت» من سوق العمل. تلك هي طبيعة النظام!

إنّ ما أقوله ليس عسيراً على الفهم. إنّ ولداً في الثانية عشرة من عمره يفهم ذلك. لكنّ الأفضل للقيِّمين ألاَّ يفهموه! تماماً مثلما الأفضل لهم أن يفهموا أنَّ ثمّة سؤالاً عن عدم لزوم التصويت لربّ العمل. لماذا يكون ثمّة ربّ عمل أصلاً؟ لماذا لا تكون صناعة القرار عملاً جماعيّاً؟ لم يبرهن أحد أنَّ هذا أمرٌ غير قابل للتنفيذ. خُذ أيّ مؤسّسة علميّة ناجحة - الـ MIT مثلاً -، فالناس هنا يعملون معاً بالفعل! لقد درّستُ صفّاً البارحة، وكنت واقفاً في الأمام وكان الطلاّب جالسين دوني، غير أنّهم كانوا يخبرونني أموراً وكنت أخبرهم أموراً بدوري. ثمَّ أتوا إليّ بعد ذلك وقالوا لي إنّي مخطئ، فحاولنا أن نضع تصوّراً للمسألة. هذه هي الطريقة الوحيدة للتقدّم. وأمّا لو كان عندنا في الصف نظام أُخبرهم بموجبه

(١) شكل من أشكال الأوكسجين النقيّ.

(١) إعتام عدسة العين.

(٢) منظِّر اقتصادي في جامعة شيكاغو.

ما ينبغي عليهم أن يفكّروا به، نظام لا يسمح لهم بالقول أين أخطأتُ، فإنّ ما سنطلع به محض هُراء.

* ما هو الفرق العملي بين الفوضوي والماركسي؟ وما رأيك بالحكمة في إنشاء حزب طليعي؟

ـ أنا معارض لمثل هذا الحزب معارضة تامّة. أوّلاً، تنتمي الماركسية في رأيي إلى تاريخ الدين المنظّم. والواقع، كما تثبت التجربة، أنّ أيّ مفهوم يحمل اسم إنسان ما ينتمي إلى عالم الدين لا الخطاب العقلي. ليس ثمّة علماء فيزياء يسمّون أنفسهم آينشتانيّين. كذلك سوف يكون من الجنون أن يسمّي البعض أنفسهم «تشومسكيّين». في العالم الحقيقي هناك أفراد وُجدوا في المكان الصحيح في الزمن الصحيح، أو أنّهم حازوا «موجة» عقليّة راجحة أو شيئاً من هذا القبيل، وقاموا بعملٍ هام. لكنّي لم أسمع بأيّ إنسان لم يُخطئ أو لم يقم آخرون بتطوير عمله بسرعة. وهذا يعني أنّك حين تعرّف نفسك بـ «الماركسي» أو «الفرويدي» أو أيّ شيء آخر، فإنّك تتعبّد أمام ضريح قدّيس.

> ماركس لم يتحدَّث أكثر من خمس جُمَلٍ عمّا سوف يكون عليه مجتمع ما بعد الرأسماليّة، واللينينيّة أكثر أجنحة الماركسيّة رجعيّة، وإنّ كلاً من لينين وتروتسكي سحقا الميول الاشتراكيّة في الثورة الروسيّة!

لو كان حقل التحليل الاجتماعي والتاريخي والاقتصادي أمراً تافهاً لدرجة أنّ ما كتبه شخص ما منذ مئة سنة لا يزال موثوقاً، لكان ينبغي علينا أن نتحدَّث عن موضوع آخر. غير أنّني أفهم «ماركس» كالتالي: إنّه بنى نظريّة مهمّة إلى حدٍّ ما، تتعلّق بنموذج مجرّد لرأسماليّة القرن التاسع عشر. لقد قام ماركس بعمل صحفي جيّد، وكان يمتلك أفكاراً هامّة بصدد التاريخ. غير أنّه لم تكن لديه في مجموع أعماله، على الأرجح، أكثر من خمس جمل عمّا سوف يكون عليه مجتمع ما بعد الرأسماليّة! وأمّا القول بأنّ له تراثاً في السياسة الفعليّة وفي التنظيم، فهذا لا ينطبق على ماركس وإنّما على لينين؛ واللينينيّة قد تكون أكثر أجنحة الماركسيّة رجعيّة! لقد كان لينين ماركسيّاً أورثوذوكسيّاً (متزمّتاً) إلى حدٍّ بعيد، وحسب قراءتي له فإنّه لم يؤمن قطّ بأنّ الاشتراكيّة ممكنة في روسيا. إنّ قوانين التاريخ الحديديّة قد طرحت بأنّ الاشتراكيّة سوف تحدث في المجتمعات الصناعيّة المتقدّمة. والواقع أنّ «لينين» و«تروتسكي» تحرّكا بسرعة لسحق الميول الاشتراكيّة في الثورة الروسيّة وتدميرها ـ عنيت: مجالس المصانع وتنظيمات العمّال الفوضويّين.

كانت فكرة لينين تقول بأنّ أمامنا مجموعتين من المثقّفين الثوريّين، الأذكياء، وأنّهم سوف يدفعون المجتمع إلى مستقبل أفضل يعجز السلافيون عن فهمه لغبائهم! هذه هي فكرته الأساسيّة، وهي ليست مختلفة على الإطلاق عن ايديولوجيّة الديموقراطيّة الرأسماليّة؛ بل إنّ في مقدورك أن تستبدل الواحدة بالأخرى. إذا كانت هذه هي الماركسيّة، فإنّه ينبغي علينا أن نعاديها معاداة صارمة. وفي رأيي أنّ الاشتراكيّة قد تعرّضت لضربة هائلة في روسيا عام ١٩١٧، ينبغي عليها أن تفيق منها.

* كتبت، ذات مرّة، تقول إنّ الزعم بأنّ ما جرى في الاتحاد السوفييتي هو اشتراكيّة قد كان في مصلحة كُلّ من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي معاً.

ـ طبعاً، في مصلحتهما تماماً! فقد كانت الولايات المتحدة تهدف بشكل واضح إلى تشويه سمعة البدائل عن الاستبداديّة الرأسماليّة. وأمّا الاتحاد السوفياتي فقد كان يهدف إلى إضفاء الفتنة الأخلاقيّة على الاشتراكيّة، وهي فتنة هائلة. وهكذا فقد كان من مصلحة نظامي القوّة أن ينشرا تلك الكذبة الغريبة القائلة بأنّ الثورة البلشفيّة ثورة اشتراكيّة. والحقّ أنّ الاشتراكيّة إنْ عنتَ أيّ شيء فإنّما تعني سيطرة العامل على وسائل الإنتاج وصناعةِ القرار؛ وهذا هو أقلّ شيء.

* هل فكّرت يوماً في الاستسلام؟ لقد استنتج كثير من أصدقائي بأنّ الناس ليسوا إلّا قطيعاً من الخرفان. وأنا أقول لو كان هذا صحيحاً، لكان من الأفضل أن نلتحقَ بصفوف الحزب الجمهوري فنسرقَ ما شئنا من المال ونعيشَ بحرّيّة!

ـ لا نعلم حقّاً ما إذا كان من الممكن أن يُعمل شيء أم لا. فخارج نطاق العلوم لا يعلم أحد الكثير عن أيّ أمر، ولا سيّما حين يتعلّق هذا الأمر بالإنسان؛ فإنّنا إذّاك لا نعلم شيئاً تقريباً إلّا ما يحسّه المرء بحدسه أو ما تقوله له تجربته. غير أنّك لو نظرت إلى التاريخ فإنّك سوف تجد تحسُّناً أكيداً في السنوات العشرين أو الثلاثين الماضية: أنا أعتقد أنّ هذه البلاد (أمريكا) قد شهدت ثورة ثقافيّة، وأنّ الأشخاص الموجودين في مراكز السلطة يكادون أن

يموتوا خوفاً من تلك الثورة.

هذا ما يفسّر الهزء الكثير من «الصراط السياسي المستقيم».[1] فها إنّك ترى أشخاصاً قد قادوا النظام الإيديولوجي بيد من حديد، فيأتي شخص آخر من دائرة في الأدب في جامعة ما ليقول شيئاً غير تقليدي، فينتابهم الجنون! لقد قرأتُ حوالي مئتي مقالة عن هذه «الأورثوذوكسيّة الجديدة» التي تجتاح الجامعات، محطّمةً العصر الذهبي لحرّيّة التعبير المطلقة. غير أنّي لم أقرأ مقالة واحدة تدافع عن تلك «الأورثوذوكسيّة». فلو كانت هذه الأورثوذوكسيّة قد سيطرت على كلّ شيء كما يزعمون، فكيف نفسّر أنّ الجميع يهاجمونها! إنّ مثل هذا التساؤل لن يحول في عقليّة كوميسير بسيطة.

كولومبوس مرتبطٌ بأسوأ عَمَلَي إبادة جماعيّة في التاريخ الإنساني: إفناء عشرات الملايين من الأمريكيّين الأصليّين، واسترقاق الإفريقيّين.

إنّ ما يُحكى عن «الذكرى الخمسمئة» لهو أمرٌ جدير بالاهتمام في هذا المجال. يُحكى الكثير عن «اليساريّين الفاشيّين» الذين يقذفون بكريستوفر كولومبوس في النفايات وينكرون جميع الأعمال الرائعة التي أتى بها. إنّ ما يقولونه هو أنّنا قد عشنا خمسمئة عام ونحن ننكر أسوأ عمليْ إبادةٍ جماعيّة في التاريخ الإنساني، ولعلّ الأوّل منهما أن يكون أسوأ عمل إبادة على الإطلاق: إفناء الأمريكيّين الأصليّين الذين قُدِّروا بعشرات الملايين، وتدمير أعداد ضخمة من الافريقيّين عبر تجارة الرقيق. والعملان قد ابتدآ من خلال كريستوفر كولومبوس! إنّنا لانني نحتفل بالإبادة الجماعيّة خمسمئة عام، غير أنّ المشكلة ليست هنا [في رأي اليمين]، وإنّما في حقيقة أنّ اليسار يحاول التصحيح.

إنّ أيّ إنسان عاقل ينبغي أن يقول: «الحمد لله، إنّ اليساريّين الفاشيّين يسيطرون الآن ويحاولون أن يصوّبوا الأمور». غير أنّ أحداً لا يقول هذا بالطبع. فالحال أنّ الدوائر الأكثر تعلّماً هنا رجعيّة مثلما كانت على الدوام. وإنّ الجدل الذي يحدث الآن انعكاسٌ لتطوّر ملحوظ في المناخ الثقافي.

* هل هذا التطوّر من تراث الستّينات؟

ـ لقد خلّفت الستّينات تراثاً هائلاً. هل تظنّ أنّنا كنّا سنسمع كلمة احتجاج واحدة على «الذكرى الخمسمئة» لولا ما حدث في الستّينات؟ أوتظنّ أنّ شخصاً واحداً كان سيقف إلى جانب «آنيتا هيل» ليقول: «إنّ ما حدث لكِ هو شكل من أشكال الإزعاج الجنسي»؟. ولهذه الأسباب فإنّ الجميع يكره مرحلة الستّينات لأنّها قد كان من الممكن أن تؤدّي إلى ديموقراطيّة حقيقيّة. في السبعينات كانت ثمّة عبارة هي «أزمة الديموقراطيّة»، وهي أزمة منشؤها أنّ الناس لم يعودوا سلبيّين وغيرَ مبالين، بل إنّهم قد شرعوا في تنظيم صفوفهم وحاولوا أن يصنعوا شيئاً. وبالمناسبة، فقد كان «الليبراليُّون» ـ الأشخاص المتحلّقون حول «جيمي كارتر»، اللّجنة الثلاثيّة ـ هم الذين كتبوا كتاب **أزمة الديموقراطيّة**.

إنّ الخاصيّة التي يجب فهمها عن الستّينات هي أنّ الأبطال قد كانوا أناساً لم يسمع عنهم أحد: «فرسان الحريّة»، «عمّال SNCC»، الأشخاص الذين كانت رؤوسهم تُضرب بعنف أسبوعاً بعد أسبوع لقيامهم بأعمال سياسيّة تنظيميّة. لم يكن ثمّة وهم حول قيادة العمل السياسي المعادي لحرب ڤيتنام آنذاك: فقد كانت القيادة من نصيب كُلّ من حضر إلى التظاهرات والاجتماعات. إنّه لن يُسمح لنا أن نفهم هذا الآن، بل إنّنا نُجبر على الاعتقاد بأنّ الحركات الشعبيّة ليست إلّا أعمالاً نابعة من قيادة فرديّة و«كاريزما»[1] فرديّة. إنّ السبب في إجبارنا على مثل هذا الفهم مردّه إلى أنّه يسلب الناس قواهم ويجعلهم يظنُّون بأنّهم عاجزون عن القيام بأيّ فعل تكون فيه مصلحتهم هم.

* أودّ أن أسألك عن مهاجم آخر من مهاجميك. حين أجرى «بيل موير» مقابلة مع «توم وولف» على شاشة PBS، اتّهمك «وولف» بأنّك تؤيّد نظرية ما في الرأسمالية. وفي **عوق الديموقراطيّة** تشير باستخفاف إلى نعته حقبة رونالد ريغان بأنّها «واحدة من اللحظات الذهبيّة العظيمة في الإنسانيّة قاطبة».

ـ إنّ ما قاله صحيح لمن يمتلك دخلاً مثله! وأمّا في رأيي، فإنّ حقبة ريغان قد كانت مسؤولة ـ وإن لم تكن مسؤولة وحدها ـ عن

(١) Political correctness تعبير ينمّ عن راديكاليّة المثقّفين في أمريكا، ويسخر منها اليمين هناك.

(١) «الكاريزما»: جاذبيّة القائد التي تدفع الجماهير إلى تقديسه.

كارثة الرأسماليّة التي كسحت العالم الثالث في الثمانينات. إنَّ حقبته هي ما يسمَّى بـ «العقد الضائع» في العالم الثالث: عشرات الملايين من الناس يعانون ويموتون. فبين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٨ فقط، كان الإرهاب في جنوبي افريقيا، المدعوم من الولايات المتحدة، مسؤولاً عن مقتل حوالي مليون ونصف مليون إنسان. ولو حسبت عدد الأطفال الذين قضوا من سوء التغذية حين هبطت معدّلات الدخل، فإنّك ستحصل على رقم مخيف. بل إنَّ ما جرى في الولايات المتحدة نفسها سَيِّئٌ في حدّ ذاته، مع استثناء وضع الطبقات الميسورة. فإذا جمعت كلّ الأرقام اتّضح لك أنَّ حقبة ريغان قد كانت حقبة شديدة السوء. أعجِبْ بإنسان يعتبرها واحدة من لحظات التاريخ الذهبيّة! إنّنا نعلم ما سوف نظنّ بمن يَعتبر ما حدثَ في ألمانيا عام ١٩٣٩ لحظة ذهبيّة من لحظات التاريخ!

* هل قرأت كتاب **المثقّفون** لـ «بول جونسون»؟

ـ إنّه كتاب مضحك. لقد خلص إلى أنَّ معارضتي للحرب ضد ڤيتنام مستقاة من سياق جُمَلي! إنّه يقول هذا بالحرف الواحد. إنَّ من يقول شيئاً كهذا لا بدّ أن يكون مجنوناً حقّاً.

* هلاّ أجبتَ على المقطع التالي من كتابه: «طَوال الستّينات، ازداد هياج المثقّفين في الغرب ضدّ السياسة الأمريكيّة في ڤيتنام، وضدّ مستوى العنف المتزايد الذي نُفِّذت بمقتضاه تلك السياسة. ههنا مفارقة ما. فكيف يحدث أن يمقت المثقّفون استخدام حكومة غربيّة ديموقراطيّة للقوّة من أجل إنقاذ ثلاث مناطق من الاحتلال على يد نظام توتاليتاري، حين يكون أولئك المثقّفون بالذات قد ازدادوا قبولاً باستخدام العنف من أجل تحقيق المساواة العِرقيّة، أو إنجاز التحرُّر الوطني، على يد مجموعات إرهابيّة تحلم بالحكومة السعيدة الخيّرة؟»

ـ ممّن كُنّا ننقذ ڤيتنام؟ **نحن** من هاجم ڤيتنام الجنوبيّة؛ لم يكن هناك روس، ولا صينيّون، بل لم يكن هناك ڤيتناميُّون شماليون في البدء. **نحن** من هاجم ڤيتنام الجنوبيّة، هل نسمّي هذا إنقاذاً؟ **نحنُ** من أدخل كمبوديا في الحرب حين هاجمناها. **نحن** من هاجم «لاوُس». ولننسَ للحظة أنَّ ڤيتنام الشماليّة هي ڤيتنام، ولننسَ كذلك أنَّ الحكومة التي يزعم [جونسون] أنّنا كنّا ندافع عنها (أي سايغون) ادَّعت أنّ ڤيتنام بلد غير قابل للتجزئة؛ وهذا هو البند الأوّل في الدستور الذي كتبته لهم الولايات المتحدة! لننسَ كلّ هذا، ولنتظاهر بأنّ ڤيتنام الشماليّة قد كانت أرهبَ مجتمع في التاريخ. غير أنّنا كنّا نهاجم ڤيتنام **الجنوبيّة**. بول جونسون لا يستطيع أن يرى هذا الأمر لأنّه كوميسير ومأجور حزبيّ. وهو ليس وحده في ذلك؛ لا أحد يرى هذا الأمر. إنَّ حقيقة أنَّ الولايات المتحدة هاجمت ڤيتنام **الجنوبيّة** ليست جزءاً من الوعي؛ رغم كونها حقيقةً!

نجتاحُ بلداً، وننصّب فيه حكومةً دميةً لا تحظى بأيّ دعمٍ شعبيّ، ونرسل زمراً لقتل القادة السياسيّين المعارضين، ثمّ نسمّي زمرنا «فرقاً معادية للإرهاب»!

أذكُر أنّه نُشر منذ أسابيع في **النيويورك تايمز بوك ريڤيو** مراجعة لكتاب عن أحد الڤيتناميّين المتعاونين، كتبها «زالين غرانت». وكانت المقالة تمجد ذلك المتعاون. لقد تعاون مع الفرنسيّين، ثمَّ مع الأمريكان. وحسب الكتاب فإنَّ هذا المتعاون قد صمّم عام ١٩٦١ أو ١٩٦٢ وسيلة استخدمها النظام التابع لإرسال «زُمر موت» لاغتيال المنظِمين السياسيّين في «الڤيتكونغ». وسُمّيت تلك الزمر بـ «الفرق المضادّة للإرهاب» ـ أعجبْ بمستوى الضلال ههنا!! إنّنا نجتاح بلداً، وننصّب فيه حكومةً دميةً يُقرّ الجميع بأنّها لا تحظى بأيّ دعم شعبي، ونرسل زمراً لقتل المنظّمين السياسيّين في بلدهم، ثمَّ نسمّي زمرنا «فرقاً معادية للإرهاب»! هذا ما كُتب في **النيويورك تايمز**، ولم تطرف عينُ أحدٍ. هذا يعكس حضارتنا الثقافيّة كثيراً. وانطلاقاً من هذه الخلفيّة يكتب «بول جونسون» مثل هذا الهراء المطلق، متشبِّهاً بنُظرائه في روسيا الستالينيّة وألمانيا النازيّة. ولا شكّ أنّ «نورمان پودهورتز» سوف يعجب بكلماته!

* هل تقترع في الانتخابات؟

ـ أميل إلى التصويت في المستويات المنخفضة: على مستوى المسؤولين المحليِّين وممثّلي الدولة. وقد أُصوّت أحياناً لرئيس جمهوريّة. وصوّتُّ ضدّ «رونالد ريغان».

* هل رشّحت «والتر مونديل»؟

ـ كان من الممكن للحزب الديموقراطي أن يسمِّي «شارلي ماكارثي» مرشحاً له، وكنتُ سأُصوِّت له في مواجهة ريغان وجورج بوش، لأنَّ هذين الرجلين خطران: ليسا خطريْن في حدّ ذاتهما في الحقيقة؛ لم

يكن ريغان «رئيساً للجمهورية» حين احتفظ المراسلون بسرّ قذر طوال أعوام ثمانية. لقد دهش الديموقراطيُّون أثناء تحقيقات «إيران - كونترا» حين اكتشفوا أنَّ الرئيس قد كذب وأنّ أحداً لم يكترث. ذلك أنَّ الجمهور عاقل. فما الفرق في أن يُخبَر ذلك المهرِّج المثير للشفقة بالسياسة الأمريكيّة أو أن يتذكّرها بنفسه؟ لم يكن يُفترض به أن يعلم ما يجري، كان من المفترض أن يأتي إلى الاجتماعات بين وقت وآخر ليقرأ بضعة سطور! لربّما أخبروه بما حدث، ولربّما لم يخبروه، فليس ثمّة ما هو أقلّ أهميّة من التحقّق.

إنَّ المهمّ أنَّ الناس حول ريغان قد كانوا شديدي الخطورة، يسمّون أنفسهم «محافظين»، لكن هذا هراء. إنّهم دَوْلانيّون[1] جذريّون، يؤمنون بدولة شديدة القوّة والعنف.

* هل عندك ما تفيدنا به بصدد الانتخابات الحالية؟(*)

- إنّها شبيهةٌ بواحدة من أسوأ الانتخابات في العالم الثالث. خُذ «هندوراس». ثمّة رجلان غنيّان يطرحان برنامجاً واحداً، وتتكوّن حملة الانتخابات من شتائم ونكت وسيركات وليس من يزعم أنَّ الشعب يشارك في الانتخابات.

* إنَّ ما يعجبني في «كلينتون» [المرشّح الديموقراطي] هو أنّه تجنّب الخدمة العسكريّة [إبّان حرب ڤيتنام] وأنّهم الآن يستخدمون ذلك لإيقافه.

- إنَّ تجنّبه الخدمة العسكريّة كان الأمر العاقل الوحيد الذي فعله طوال حياته، لكنّ «كلينتون» اليوم ليس على استعداد للدفاع عنه...!

* هل ستقترع لانتخاب رئيس جمهورية في تشرين الثاني (نوفمبر)؟

- إنَّ ثمّة مسألة قد تدفعني إلى الاقتراع، وهي إمكانيّة أن تشهد الأعوام الأربعة القادمة، مرّة أخرى، قضاة يمينيّين متطرّفين يكرهون الحقوق المدنيّة... إنَّ أربع سنوات أخرى من مثل هذا القضاء سوف تؤسّس لنظام قانوني فاشيّ - وأنا لا أمزح - تنعدم فيه الحقوق المدنيّة. وأمّا أن تكون هناك مسائل أخرى تدفعني إلى الاقتراع، فلستُ أرى أيّاً منها.

* ذات ليلة شاهدت على شاشة التلفزيون إعلاناً عن مخفّف الصدمات. وكان الشعار «إنَّ المسألة لا تتعلّق بسيّارتك وحدها، بل بحرّيّتك كذلك!»؛ وتذكّرتك، وتذكّرت نظريّتك القائلة بأنَّ للناس «غريزة للحرّيّة». إنَّ جادّة ماديسون[1] وسياسيّينا سوف يؤمنون بالشيء عينه؛ فهم كلّما أرادوا أن يبيعوك مخفّف صدمات أو بيرة أو حرباً، يحاولون أن يربطوا هذه الأشياء بالحرّيّة!

الرُّعبُ سينتاب أكثر الأمريكيّين لو علموا ما تقترفه أيديهم في العالم؛ ولهذا السبب تمَّ تشييد مثل هذا الصرح الهائل من الأكاذيب!

- بالتأكيد. إنّهم يعلمون أن هذا هو ما يريده الناس. ورغم أنَّ هذا لا يمكن إثباته - شأنه شأن أيّ أمر يتعلّق بالطبيعة الإنسانيّة -، إلّا أنَّ تجربتي وحدسي يثبتان صحّة هذا الاستنتاج. الناس يريدون أن يكونوا أحراراً، مستقلّين، غير مقموعين، ولا يريدون أن يسرقوا غيرهم من الناس. أنا أعتقد أنَّ الرعب سوف ينتاب أكثر الأمريكيّين لو علموا ما تقترفه أيديهم في العالم. وأعتقد أنَّ ذلك هو السبب لمثل هذا الصرح الهائل من الأكاذيب.

إنَّ ثمّة سؤالاً واضحاً يطرح نفسه: لماذا لا يخبر قادتنا الحقيقةَ للناس؟ فمثلاً حين يريد قادتنا أن يدمّروا العراق، لماذا لا يقولون علناً: «اسمعوا! نريد أن نسيطر على نظام النفط العالمي. نريد أن ننشئ مبدأً يقول بأنَّ العالم لا تحكمه إلّا القوّة، لكون القوّة هي الشيء الوحيد الذي نجيده! نريد أن نمنع أيّ قومية مستقلّة من البروز. لا اعتراض لنا على صدّام حسين. إنّه صديقنا. لقد عذّب النّاس وقتلهم بالغازات السامّة. وكان ما فعله مقبولاً، غير أنّه ما لبث أن عصى أوامرنا! ولذلك، فإنّه ينبغي تحطيمه عبرة للآخرين: أنْ لا تعصوا الأوامر».

لماذا لا يقول قادتنا ذلك؟ إنَّ في مثل هذه الأقوال فضيلة الصدق. وإنَّ قول الصدق لأسهلُ بكثير من تلفيق الأكاذيب الخارقة، وأقلّ إجهاداً للنفس. لماذا لا يقولون الصدق؟

الجواب: لأنّهم يعرفون أنَّ النّاس هم في أساسهم خيِّرون. والحقّ أنَّ ذلك هو السبب الوحيد لجميع تلفيقات القادة. إنَّ هؤلاء يؤمنون أنَّ الشعب خيِّر وأنَّ ثمّة أملاً في أن تتبدّل الأحوال. وهم - في رأيي - على حقّ. والواقع أنّك كلّما سمعت مزيداً من التحريف والكذب والخداع، اتّضح لك أنَّ للناس غريزةً للحرّيّة!

(١) Statists : المنادون بتركيز السلطة في يد الدولة.

(*) أجريت المقابلة قبل فوز كلينتون.

(١) جادة مديسون مشهورة في نيويورك بمحلّاتها الفخمة الباهظة الثمن.